Received: 09/30/2024
Accepted: 03/10/2025
Published Online: 06/25/2025

Approach of Grammatical Justification in Al-Khalil Ibn Ahmad Al-Farahidi Semantic "Explanation as a Model"

Karima Mebdoua*

University Djilali Bounaama, Khemis Miliana, Algeria.

Corresponding author:
Karima Mebdoua

Email: karim2015m@yahoo.com

Citation: Mebdoua, K., (2025). Approach of Grammatical Justification in Al-Khalil Ibn Ahmad Al-Farahidi Semantic "Explanation as a Model". *AL-Lisaniyyat*, *31*(1), 125-135.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution ***AL-Lisaniyyat © 1971 by Scientific and Technical Research Center for the Development of the Arabic Language is licensed under Attribution-Non-commercial 4.0 International***

ABSTRACT

The Arabs adopted grammatical justification from the time of Al-Khalil (100H – 170H), and all grammatical schools focused on identifying the underlying causes (ʿilla) governing the Arabic language. Among these scholars, Al-Khalil Ibn Ahmad Al-Farahidi played a central role, and his disciple Sibawayh faithfully transmitted what he had learned from him. Al-Khalil was distinguished by his deep mastery of the concept of justification, his extensive knowledge, and his interest in exploring its various forms. For him, the issue was not merely about listening to linguistic examples and testimonies but about conducting a systematic investigation that enabled him to rigorously establish grammatical and morphological rules, as evidenced by the work of his disciple Sibawayh.

Al-Khalil thus paved the way for identifying and extracting grammatical justifications, relying on his exceptional genius, his understanding of the purposes of Arabic speech, his mastery of linguistic styles, and his knowledge of Arabic aesthetics—what was considered elegant or displeasing in speech. His disciple's work attests to the breadth and richness of his explanations, granting him a special status in establishing the foundations of grammatical justification in Arabic. Through this study, we examine his methodology in linguistic justification, focusing on semantic explanation as a model of study in Al-Khalil's work and exploring its key characteristics that influenced the structuring of Arabic grammar.

Keywords: Al-Khalil Ibn Ahmad Al-Farahidi, semantic explanation, meaning, based justification, interpretation and expression.

منهج التعليل النحوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي

"التعليل الدلالي أنموذجا"

كريمة مبدوعة*
الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)
البريد الالكتروني المهني: karim2015m@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2024/09/30 **تاريخ القبول:** 2025/03/10 **تاريخ النشر:** 2025/06/25

ملخص:

أخذ العرب بالتعليل منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ-170هـ). فكل المدارس النحوية اهتمت بالعلّة وحاولوا الوصول الى العلل التي يقوم عليها الكلام العربي، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث حرص تلميذه "سيبويه" نقل عنه ما سمعه منه وما أملاه عليه، وعرف عن الخليل تفوقه واجتهاده في العلّة وسعة علمه بها، واهتمامه بأشكالها، وأنّ الخليل بن أحمد ليست المسألة عنده مسألة سماع وشواهد فحسب، فقد جعل استقراءً مكّنه من ضبط القواعد النحوية والصرفية ضبطا يبهر كل من يقرأ مراجعات "سيبويه، فقد قام وفتح الباب لاستخراج العلّة واستخلاصها معتمدا في ذلك على تفوّقه وعبقريته الفذّة في مقاصد العرب في كلامها واستخداماته، وتمرّسه بأساليبها، ومعرفته بذوق العربي فيما يستحسنه أو يستقبحه، فشهد له كتاب تلميذه بسعة تعليلاته وكثرتها، فتكون له المزية والفضل في إرساء دعائم التعليل النحوي عند العرب، فكان من خلال ما سبق أن نستعرض لمنهجه في التعليل اللغوي، مركّزين في ذلك على التعليل الدلالي كأنموذج لدراسته عند الخليل والوقوف على أهم سماته التي قام عليها نطق الإعراب.

الكلمات المفتاحية: الخليل بن أحمد الفراهيدي- التعليل النحوي- التعليل الدلالي- اعتماد المعنى- التأويل والبيان.

المؤلف المرسل باللغة اللاتينية*: Karima MEBDOUA

Approche du raisonnement grammatical selon Al-Khalil ben Ahmed Al-Farahidi, "Raisonnement sémantique comme modèle"

Résumé :
Les Arabes ont adopté le raisonnement grammatical depuis l'époque d'Al-Khalil (100 H - 170 H), et toutes les écoles grammaticales se sont intéressées à la notion de cause (ʿilla), cherchant à identifier les principes sous-jacents à la langue arabe. Parmi ces figures, Al-Khalil Ibn Ahmad Al-Farahidi a joué un rôle central, et son disciple Sibawayh a fidèlement rapporté ce qu'il avait appris de lui. Al-Khalil s'est distingué par sa maîtrise approfondie de la notion de raisonnement, son large savoir et son souci d'en explorer les différentes formes. Pour lui, la question ne se limitait pas seulement à l'écoute et à l'analyse des témoignages linguistiques, mais il a procédé à une investigation systématique lui permettant d'établir avec rigueur les règles grammaticales et morphologiques, comme en témoigne l'ouvrage de son disciple Sibawayh.
Al-Khalil a ainsi ouvert la voie à l'identification et à l'extraction des raisonnements grammaticaux, s'appuyant sur son génie exceptionnel, sa compréhension des objectifs des Arabes dans leur discours, sa maîtrise des styles linguistiques et sa connaissance du goût arabe, de ce qu'il considère comme élégant ou disgracieux. L'ouvrage de son disciple atteste de l'ampleur et de la richesse de ses explications, ce qui lui confère un mérite particulier dans l'établissement des fondements du raisonnement grammatical en arabe. À travers cette étude, nous analysons sa méthodologie dans le raisonnement linguistique, en mettant l'accent sur l'explication sémantique comme modèle d'étude chez Al-Khalil et en explorant ses principales caractéristiques qui ont influencé la structuration de la grammaire arabe.

Mots clés : Al-Khalil Ibn Ahmad Al-Farahidi- Raisonnement grammatical- Raisonnement sémantique- Prise en compte du sens- Interprétation et expression.

مقدمة

يعتبر التعليل النحوي بابا من أبواب الاستدلال العقلي، أصدره النّحاة بغية فهم المبادئ العامة والقواعد المهمة التي يسير عليها النظام اللغوي للفصحى، وهو مسألة مهمة في النحو العربي، كثير الانتشار بين علمائنا القدماء وحتى المحدثين، فالاهتمام بالتعليل واستحضاره في فهم دليل أذهانهم دليل على مدى اهتمامهم بإثبات دقة اللغة العربية، والسبب الذي أدّى بالحكم النحوي أن يكون على صورة معيّنة دون غيرها، وبعدها عن التعقيد وملامستها الوضوح وبنائها القائم على أن العرب إنما نطقت كلامها على تعليل معتبر، فيه من الحكمة ما استخرجه العلماء الأوائل.

ولأهمية التعليل النحوي في اللغة العربية كان محل اهتمام القدماء بوصفه أداة تفسير للنظام اللغوي، وقضية مفصلية في النحو العربي، حيث نقل عن الخليل قوله: "إنّ العرب نطقت على سجيتها واعتللت أنا بما عندي أنه علّة لما عللته منه" وهذا تصريح الزجاجي في الإيضاح (الزجاجي، 1986)، ويرى الزبيدي أنا أبا إسحاق الخضرمي هو أول من عرف التعليل والقياس وبلغ الغاية في ذلك، وكان اسمه مقرونا بالقياس، وعلله، قال ابن الأنباري: "أنه أوّل من علّل النحو" (ابن الأنباري، 1294هـ)، وما لوحظ عن القدماء أنهم يعلّلون كل حكم نحوي وكل مسألة نحوية لا بد لها من علّة عقلية، فهم قد أخذوا بالتعليل منذ عهد الخليل، فكل المدارس النحوية سعت إلى الغوص في بحر العلة ودقائقها، ويعدّ الخليل من الذين طرقوا هذا الباب وأرسى مبادئ العربية وقواعدها، على الرغم من عدم ترك الخليل مصنفا في هذا المجال، إلا أنّ تلميذه "سبيويه" نقل عنه ما سمعه منه وما أملاه عليه، وكذا تلاميذه الذين نقلوا في مصنفاتهم مختلف المجالات اللغوية من أصوات وعروض ولغة كـ"الأخفش" و"الليث بن المظفر" وغيرهما كثيرون (المخزومي، 1986).

كان أول الذين أصّلوا العلوم العربية قد فسّروها وعلّلوها سعيا إلى كشف وبيان حكمة العرب في كلامها، وعرف عن الخليل تفوقه واجتهاده في العلّة وسعة علمه بها، واهتمامه بأشكالها، وأنّ **الخليل بن أحمد** ليست المسألة عنده مسألة سماع وشواهد فحسب، فقد جعل استقراءً مكّنه من ضبط القواعد النحوية والصرفية ضبطا يبهر كل من يقرأ مراجعات "سيبويه" له، فهو ذو عبقرية فذّة "وضع الطريق أمام تلميذه ومهّدها ليضع الصورة النهائية للنحو العربي (زكي، 1984)" أي تلميذه "سيبويه"، وما قاما به من جمع للغة وتفسير لقواعدها يعدّ من الأصول الأولى للتعليل، وعنصرا أساسيا فيه.

لقد غلب على الفكر النحوي كله ومنذ نشأته تعليل القواعد النحوية، وقد فسّر الخليل ذلك بأن العرب لا ينطقون كلامهم اعتباطا؛ بل بنوا في عقولهم أسبابا له، حتى ولو لم يصرّحوا بها، فقد قام باستخراج العلّة واستخلاصها معتمدا في ذلك على عبقريته الفذّة في مقاصد العرب في كلامها واستخداماته، وتمرّسه بأساليبها، ومعرفته بذوق العرابي فيما يستحسنه أو يستقبحه، فشهد له كتاب تلميذه بسعة تعليلاته وكثرتها، فهو اعتمد على منهجية كلام العرب كله قائم على مرجعية، ومن يقرأ أقواله في الكتاب يدرك أنّ الخليل ليس عنده شيء أو حكم لا يعلل متى ما جاء شذودا واضطرارا (عبابنة، 1970) .

لقد درس الخليل كلام العرب وفسّره وعلّله وفق منهج ما يسمعه ولم ينطق به اعتباطا؛ بل كان لعلّة معيّنة كان يعنيها العرب في لغتهم، فعرف لذلك مختلف العلل وفهم كل كلام العرب وسائرا على منهج التعليل، وفهم مقاصد العربية، والتقى مع من سبقه في العلة والغاية منها، ولكن ثقافته الواسعة طبعت تعليله بطوابع هامة تميّز بها من تعليل سالفيه وأوّل ما يلاحظ أنه وسّع نطاق العلّة حتى شملت جميع الأحكام ذاهبا إلى أنّ العرب بنوا أحكام نطقهم على علل معتبرة، جعل همها أن يستخرجها ويبيّن وجه الحكمة فيها (مهدي المخزومي) فكان بهذا الخليل أوّل العلماء الذين استنبطوا من علل النحو، ولم يسبقه حسب ما يرى القدماء، وهو "أول من بسط القول في العلل النحوية بسطا لفت بعض معاصريه (الزجاجي، 1986)، فتكون له المزية والفضل في إرساء دعائم التعليل النحوي عند العرب، فكان من خلال ما سبق أن نستعرض

لمنهجه في التعليل اللغوي، مركّزين في ذلك على التعليل الدلالي كأنموذج لدراسته عند الخليل والوقوف على أهم سماته التي قام عليها نطق الإعراب.

1 .تعريف التعليل

أ- العلّة في معاجم اللغة:

جاء مفهوم العلّة في المعاجم اللغوية كالآتي: ورد في لسان العرب: "السقي بعد السقي، وجني الثمرة مرة بعد مرة، وتعلّل بالأمر، و تشاغل وعلّله بطعام وحديث ونحوهما، تشغله بهما، وهذا علّة أي سبب" (ابن منظور، 1994)، فهي الشربة الثانية بعد العطش، وهي السبب والعلّة الدّاء والمرض، علّ الرّجل يعلّ من المرض"، (ابن منظور، 1994) والعلّة الحدث الشاغل إذا صار شغلا ثانيا شغل صاحبه عن شغله الأول" (الزبيدي، 1306هـ)، وتغيّر حال المحال من حال إلى حال، والعلّة تأتي بفتح العين وكسرها، والعِلّة بالكسر تأتي بمعنى المرض، والعلّة الحدث يشغله عن حاجته واعتلّ أي مرض فهو عليل، ولا أعلّك الله، أي لا أصابك بعلّة (الجوهري، 1973)، فالعلّة المرض، والسبب والشربة الثانية والعذر وتغيير حال المعلول من حال إلى حال شغل صاحبه، وكلها تصب في السبب منع ذلك.

ب- العلة اصطلاحيا:

لقد أورد العلماء عدّة تعاريف للعلّة منها ذكره الزجاجي من أنّ علل النحو الأوضاع والمقاييس التي وضعت لأجل الحكم (الزجاجي)، فالعلّة هي السبب الذي جاء عليه الحكم النحوي، والعلّة هي: "التي يطرد الحكم بها في النظائر نحو علّة الرفع في الاسم، كذا ذكر الاسم على جهة يعتمد الكلام فيها.

وعلّة النصب فيه ذكره على جهة الفضلة في الكلام، وعلّة الجر ذكره على جهة الإضافية (الرماني)، فالعلّة تقوم على تفسير الإعراب من رفع ونصب وجرّ أو بناء على الخصوص، ويعرّفها "مازن المبارك" بأنها: "الوصف الذي يكون مظنّه وجه الحكمة في اتّخاذ الحكم (مازن المبارك، 1965)، فالعلة بيان لعلّة وسبب مجيء الحكم النحوي قصد فهم الظواهر اللغوية، والكشف عن أسرارها وخفاياها، بإتباع منهج أو أسلوب تفسيري لشرح الأسباب التي جعلت الحكم على ما هو عليه.

2. التعليل الدّلالي عند الخليل وأسسه:

وتعرف العلة على أنها "تفسير الظاهرة اللغوية والنفوذ إلى ما ورائها وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه، وكثيرا ما يتجاوز الحقائق اللغوية ويصل إلى المحاكمة الذهنية الصرفة (الحلواني، 1983)، إنّ مما أكده "الخليل بن احمد" أنّ التعليل عند العرب سنّة وطباع، فقد روي عن "عمرو بن العلاء" أنه أوّل من دوّن تعليلات الإعراب سماعا منهم" سمعت رجلا من اليمن يقول فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها فقلت له: أنقول جاءته كتابي؟ قال: نعم؛ أليست بصحيفة" (ابن جني، 249).

يستنتج من قول الأصمعي أنه طلب السبب والفهم بغية معرفة مقاصد العرب من استعمالاتها، وفيما يقوم في كلامها من علل، وقد سار منهج الخليل على التعليل الذي نلمسه من كتاب "سيبويه"، وكان يعتبر التعليل احتمالي غير مجزوم، وأداة لإدراك أحكام اللغة وتطبيقاتها وضبطها.

لقد اعتبر الخليل من أعظم علماء زمانه في الاعتماد على التعليل بتفسيرات لغوية نابعة من عقل عبقري لا تخفى أهميتها على باحث، تنبع من نظرة لغوي فاحصة تجلّت جهودها في شتّى مجالات العلوم اللغوية لاسيما إرساء القواعد النحوية وتبريرها، وتقعيد قواعدها والمساهمة في التنظير لمبادئ هذا العلم الذي يكشف حكمه إعراب وأسرار النظام الذي تقوم عليه اللغة العربية.

إنّ المتصفّح للكتاب يلاحظ ويستنتج العبقرية الفذّة لهذا العالم الجليل في التّأصيل للتعليل، والحركة النحوية، ويذكر "السيوطي" أنّ "الخليل "ابتسم "سبعة الاطلاع والتنظير لعلوم العربية، وأكّد أن دوره في بناء النظرية النحوية يضعه في منزلة بين النحاة لم يبلغها أحد قبله، ولا بعده (السيوطي، 1987)، مما جعله رائدا في التأسيس لمنهج التبرير والتفسير والتعليل، يقول "ابن الأنباري" و"الخليل بن احمد" لا ينكر فضله في استنباط ما لم يسبق إليه في علم العروض وعلل النحو". (ابن الأنباري، 1970). وتفوق "الخليل" أبهر موجة بعده من الدّارسين وتأثر به جمهور النحويين، واعتمدوه في مؤلفاتهم، ليكون قانونا شاملا لرجل تميّز في علمه وعمله، فهو الذي بسط النحو وسهّل غاياته في تصحيح وتعليل مسالكه واستخلاص أحكامه". (منى إلياس، 1985)

اعتمد "الخليل" في منهجه على تعليل الإعراب بعد استقراء سجيتهم، استمدّ ذلك من خبرته بطلاقتهم وسبب مجيء كلامهم على ذلك النحو، فيكون بذلك علّله عللا لغوية محضة تقتصر على تفسير طريقة التركيب اللغوي وتعليلها بما يتلاءم وحقيقة تركيبه، ومؤدّى العرب فيه، فكان ثمرة مبكرة للدرس النحوي.

إنّ ما نرمي إليه هو ليس تفسير المنهج اللغوي الذي قام عليه تفسير "الخليل" بصفة عامة ولكن أشرنا إليه لنعرّج إلى التفسير الدّلالي وضوابطه عند العبقرية الفريدة، ويمكن أن نشير إلى ذلك المنهج التعليلي الدّلالي فيما يلي:

أوّلا: الإبهام:

مما سار عليه "الخليل" في تعليله على منهج الإبهام هو تعليل عدم جواز ندبة النكرة بقوله: "إنما قبح لأنك أبهمته، ألا ترى لو أنك قلت: "وا هذاه كان قبيحا"، ولأنك إذا ندبت فإنما ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء، وأن تختص فلا تبهم، لأن الندبة على البيان ولو حاز هذا، لجاز، يا رجلا ظريفا فكنت مناديا نكرة، فلا ينبغي لك أن تبهم (سيبويه، 1977)، معنى هذا أنّ المعنى هو الأهم والنكرة لا تندب لأنها مبهمة لا تخص واحدا بعينه، والمقصود أن يظهر النادب عذره في تفجعه على المندوب، فيحق ما به من مصيبة، ويحصل ذلك بندبة المعرفة، ومن أمثلته أيضا عدم جواز قولنا: لي مثله، أو لي أربعون.

يقول "سيبويه": وزعم الخليل أنّ المجرور بدل من التنوين: لي مثله من العبيد، ولي ملؤه من العسل، ومع ذلك فإذا قلت: لي عشرون فقد أبهمت الأنواع، قلت: درهما فقد اختصصت نوعا، وبه يعرف أي نوع ذلك العدد، فكذلك مثله هو مبهم يقع على أنواع". (سيبويه، 1977)

ثانيا- اعتماد المعنى:

الأصوات إنما تركّب ليس لغاية في ذاتها، ولكن لاتخاذها وسيلة للتعبير عن الدلالات والخواطر التي تجول في أذهاننا (إبراهيم أنيس، 1976)، والمتأمل في منهج التعليل النحوي عند "الخليل" يجده قد اعتمد على هذا النوع وهو الاعتماد أو الرّد إلى المعنى في تفسيره لبعض العوامل وما تدل عليه من معانٍ، ومن ذلك قول "سيبويه": "وزعم الخليل أنّ هذه الأوائل كلها فيها معنى "إنّ"، فلذلك أنجزم الجواب لأنه، لأنه إذا قال: "ائتني آتك"، فإن معنى كلامه "إن تكن منك إتيان آتك"، وإذا قال: "أين بيتك أزرك"، فإن معنى قال: "إن أعلم مكان بيتك أزرك"، لأنه قوله: أين بيتك؟ يريد به أعلمني (سيبويه، 1977)، ومعنى هذا القول أنّ "الخليل" قد اعتمد على المعنى في جزم الفعل إذا كان جوابا لأمر أو نهي أو استفهام ويسميها الأوائل التي فيها معنى "إنّ" وهو موجود في باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل.

ومن امثلته أيضا إجازة "الخليل" النصب في قوله: مطرنا السهل والجبل، وقال قلب زيد ظهره وبطنه، فالمعنى أنهم مطروا في السهل والجبل، ولكنهم أجازوا هذا كما قد أجازوا: دخلت البيت ... وزعم الخليل -رحمه الله- أنهم يقولون: "مطرنا الزرع والضرع" (سيبويه، 1977)، وهذا موضع من مواضع التعلل بالمعنى.

ثالثا- وضوح المعنى والحذر من الوقوع في الالتباس:

لا يتم التواصل إلا باللغة: واللغة نظام من العلامات استعمل للتبليغ والغاية الأسمى للتبليغ هي الوضوح والإبانة، وإنما أعربت العرب كلامها لبيان الفاعلية من المفعولية وبيان المعنى من التركيب، وحرصت على إيضاح اللام، لكي لا يفقد قيمته وأهميته وقامته وشأنه، ولا أدل على ذلك من الحركات الإعرابية التي تقوم بأمن اللبس ووضوح الكلام.

من أمثلة هذا التعليل ما ذكره "سيبويه" عن أستاذه عن عدم جواز النسب إلى عبد مناف بقوله: عبد القيس، وامرؤ القيس، فهذه الأسماء كزيد وعمرو، فإذا أضفت قلت: عبديٌّ، مرئيٌّ، فكلك هذا أشباهه، فهذا قياس ذكره "سيبويه"، إلا أنّ "الخليل" يرى عدم جواز ذلك مخافة للالتباس، يقول: وسألت الخليل عن قولهم في عبد مناف منافيّ، فقال: أما القياس فكما ذكرت إلا أنهم قالوا منافيّ مخافة الالتباس" (سيبويه، 1977)، ولقد لجأ إلى هذا النوع من التعليل حتى يبيّن غاية العرب في كلامها، وبعدها عن الغموض والميل إلى وضوح المعنى والبعد عن الالتباس، وحذّرهم من الاستعمالات اللغوية المضطربة أو الخلط بين المعاني.

رابعا: معنى التوكيد:

لقد تنبّه "الخليل" إلى الحروف التي تحمل معنى التوكيد وفرّق بينها، وذكر العلة من اقتران الفعل بها، يقول "سيبويه" "أعلم أنّ كل شيء دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة، كما أنّ كل شيء تدخله الثقيلة تدخله الخفيفة، وزعم "الخليل" أنهما توكيد، كما التي تكون فصلا، فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكد، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشد توكيدا" (سيبويه، 1977).

خامسا: البيان:

للاعتماد على البيان علّل الخليل عدم دخول الألف واللام على اسم زيد وعمرو، في قول "سيبويه": "وزعم الخليل – رحمه الله- أنّ الذين قالوا الحارث والحَسن والعباس إنما أرادوا أن يجعلوا الرجل هو الشيء بعينه، ولم يجعلوه سميّ به، كأنه وصف له غلب عليه، ومن قال حارث وعباس فهو تجربة مجرى زيد" (سيبويه، 1977)، فعلى أساس البيان فالعباس يشير إلى معنى العبوس، والحارث إلى الحراثة، فهنا تنقل إلى صفة لا إلى علم، فيؤتى بالألف واللام للدلالة على الصفة، ويؤتى به بدونها إلى كونه علما.

سادسا: الحمل على المعنى:

معناه أن يحمل لفظ على لفظ في حكمه لمشابهته في معناه أو في لفظه أو فيهما، وهو تنزل الشيء منزلة غيره، والعرب يحملون الخبر على معنى الطلب، ويعدون الفعل بحرف الجرّ الذي لا يضامه في الأصل، ويذكرون ما هو مؤنث، وهو "غور من العربية بعيد ومذهب لتأنيث المذكر وتذكير المؤنث، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد" (ابن جني، 2008)، وذلك لتفسير النصوص المخالفة لقواعد التطابق، فإذا كان في معناه وهو مخالف حمل على ذلك المعنى وهو ما برر به "الخليل" في نصب كلمة أوسع وخير، حيث ذكر: وكأنك تحمله على ذلك المعنى انتهوا خيرا لكم" (النساء، الآية 171)، وراءك أوسع لك... كأنك قلت: تنتبه وادخل فيما هو خير لك فنصيته لأنك قد عرفت انك إذا قلت له انتبه، إنك تحمله على أمر آخر، فلذلك: انتصت، وحذفوا الفعل لكثرة استعماله في الكلام، ولعلم المخاطب أنه محمول على أمر حيث قال له، انته، فصار بدلا من قوله: أنت خيرا لك، وادخل فيما هو خير لك" (سيبويه، 1977). علّل "الخليل" أيضا "مرضى" و"هلكى" و"موتى"، لأن ذلك أمر يبتلون به وأدخلوا فيه وهم له كارهون، وأصيبوا به، فلما كان المعنى معنى المفعول كسروه على هذا المعنى" (سيبويه، 1977)، ومعنى ما يعلّله "الخليل" هو ما يلي:

"إنّ الأصل في جمع "فعلى" أن يكون جمعا لـ"فعيل" بمعنى "مفعول"، مثل: "قتيل"، قتلى"، و"جريح" "جرحى"، لكن ورد في لغة العرب أسماء جمعت هذا الجمع وليست بمعنى مفعول، بل بمعنى فاعل مثل "مرضى، هلكى، موتى" من "مريض، هالك، ميّت"، فجمعت فعلى على غير قياس ، فقد حمل على المعنى "الخليل" وعلّلها تم حمله على المعنى من قبل العبقري في صحة "واو "اجتوروا" و "اعتونوا" و"ازدوجوا" في معنى "تفاعلوا" مثل: "تعاونوا"، "تجاوروا" و"تزاوجوا"، فالمعنى في هذا وتفاعلوا، سواء (سيبويه، 1977)، فالواو صحيحة رغم انفتاحها وتحرّك ما قبلها، وخروجها عن قياس نظائرها بالحمل على الأفعال المتّفقة معها في المعنى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل، الآية 18)، زعم أنه كقولك: مرضع للتي بها الرضاع، وأما المنفطرة، فيجيء على العمل كقولك مرضعة للتي ترضع" (الكتاب، 47)، معنى ما أشار إليه أنّ كلمة "منفطر" تدل على الانفطار بالقوة الكامنة، أما "منفطرة" فتدل عليه بالفعل، فهو يحمل اللفظ على المعنى ويجيز ما خرج عن القياس بذلك.

سابعا: صرف الكلام من ظاهرة إلى وجوه خفية:

أو ما يعرف بالتأويل الذي هو البحث عن الباطن خلف الظّاهر، وافتراض حروف في مادّة كلمة وصيغ الكلمات وجمل كاملة، وكل ذلك من عمل الذهن وعلى أساس القواعد (عيد، 2006)، وهو يعتبر من الوسائل الممكنة في التعليل التي تعتمد على التفسير والتحليل، والتي جعلت النّحاة يصرفون الكلام عن ظاهرة حتى يوافق قوانين النحو وأحكامه عن طريق الحذف والاستتار، وصوغ المصدر والتقدير في الجمل والمفردات" (عيد، 2006)، فيكون حل بعض المشكلات النحوية باستدعاء الوجه الخفي للمعنى والكشف عنه والذي من أجله عدّل التعبير عما يقتضيه الظاهر، علّل "الخليل" بذلك: "لله أبوك"، و"لقيته أمس"، "ولكنهم حذفوا الجار والألف واللام تخفيفا على اللسان، وليس كل جار يضمر لأن المجرور داخل في الجار، فصار عندهم بمنزلة حرف واحد، فمن ثم فُتح ولكنهم قد يضمرونه ويحذفونه فيما كثر من كلامهم، لأنهم الى تخفيف ما أكثروا استعماله أحوج" (عيد، 2006)، يعني عادة العرب الميل الى التخفيف، فهذا قياس على لاه أبوك، ويرى ابن الورّاق أنّ هذا الحذف راجع لكثرة دوران هذه الكلمات في كلام العرب" (ابن الوراق، 2008)، وهو ما ذكره "الخليل" الذي كان كثيرا ما يقرن الحذف والاستتار بكثرة الاستعمال في لغة العرب، وقد اتّخذ كلام العرب وسعة اطّلاعه أساسا لتعليلاته وتبريراته، فاهتدى إلى قولهم وقوانين كلامهم، حيث يأتي على غير ما يجب أن يكون عليه كلامهم، وبتأويله يرد عل ما يراه منه من حذف بعض أجزاء الكلام في مواضع تحسن فيها الحذف دون غيرها ويقبح فيها الإضمار، وذلك لتجنب الثقل.

فالتّأويل اعتمد عليه "الخليل" وكذا من عاصره وبحثوا على العلل فأضافوا ما ينقص الكلام أو حذفوا منه ما زاد عليه، أو أضمروا ما لا بد من وجوده، حتى يحلل الألفاظ تحليلا يعينه على ما يصل إليه من توجيه الإعراب.

ثامنا: الحذف:

يرى "الخليل" أنّ اللغة صورة واحدة، وكل جملة فيها مقتطعة من سياق مماثل لها، وأصل تفرّعت عنه، وتسمى بعلّة الإضمار أو عدم الاستعمال والحذف، وهي تقوم على أساس التعليل الدلالي، حيث "تدفع دلالة ومعنى السياق المتكلم إلى الاختصار والحذف والإضمار لبعض عناصر الجملة، فيجيء ذلك على ضربين: أحدهما يكون بالتوسع في إيقاع العلاقات النحوية، وثانيها يكون بالحذف لبعض عناصر الجملة ليكون بعضها الآخر معبّرا عنها ومكمّلا للمعنى" (حماسة، 2015). للخليل مهارة في تطبيق القياس وذكاء في استخراج العلل وإيمانه بأن العرب أصحاب اللغة أمة العرب، ومن علل في ذلك: "قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (البقرة، الآية 275)، وجواز تذكير الفعل قبل المؤنث لمراعاة المعنى وعدم جواز ذلك إذا جاء الاسم المؤنث بعده، قال: هو التذكير بالخير، فيما يرق له القلب والعظة والموعظة هما الاسم" كان الفعل مذكرا، وأما قوله تعالى:

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (يونس، الآية 57)، فكان الفعل مؤنثا وهي لمعانٍ سياقية، وهي مؤنث مجازي، وما كان مؤنثا مجازيا في اللغة جاز تأنيث فعله أو تذكيره على حدّ سواء، وهي في معنى الوعظ.

ومن تعليلاته أنّ أناسا من العرب يقولون: "إنّ بك زيد مأخوذ ففسّره على أن التقدير" إنه بك زيد مأخوذ" (ابن السراج، 2009)، فعلّل ذلك أي رفع اسم "إن" لتسلم له القاعدة بأن اسم "إن" منصوب، والضمير الذي قدّره هنا هو ضمير الشأن، وكان يقدر قولهم "رجل صوم" و"رجل عدل" مضافا محذوفا، فالتقدير عنده ذو صوم (الفراهيدي، 2007)، فمراعاة نية المتكلّم وقصده هو من دواعي التقدير، وفي عبارة "مررت بالمسكين" دلّت على معنى الترحّم" ويكون على المسكين مررت به"، وهذا بمنزلة لقيته عبد الله إذا أراد عبد الله لقينه، وزعم "الخليل" –رحمه الله- "إنه المسكين أحمق" (سيبويه، 1977)، فهو يعتمد على المنطق الطبيعي والعقل الفطري لكلام العرب ومراعاة نية المتكلّم وقصده، وهو مقتطع من سياق مماثل له وأصل متفرّع عه، وفي قول الشاعر:

ألَا رَجُلًا جَزاه اللهُ خَيرًا *** يَدُل عَلى مَحصَلة تَبيت (سيبويه، 1977)

فقد أثرت "أروني" المحذوفة في نصب رجلا فيرى أنّ العوامل المحذوفة تؤثر في الإعراب دون أن تظهر، فتقدّر استنادا إلى المعنى الذي يقتضيه السياق.

تاسعا: الحال:

هو عبارة عن منهج تعليلي دلالي يعتمد على التزام حالة إعرابية معيّنة، تستخلص هذه الحالة من خلال حالة المتحدّث عنه وقت الحديث الذي قيل فيه، لا بالنظر إلى الحالة التي كان عليها قبل أو الحالة التي بعد أي مستقبلا، فحذف الفعل في قول القائل قد سدد سهما "القرطاس" منصوبا بدلالة الحال والسياق، أي أصبت القرطاس، هي علل تشير إلى كيفية الكلام العربي ومعرفة حكمه النحوي.

وفي موضع آخر يعلّل تعليلا حاليا في قول "سيبويه" "أنت أنت"، وإن فعلت هذا فأنت أنت، أي فأنت الذي أعرف، كما تقول الناس أي الناس بكل مكان وعلى كل حال كما تعرف، وإن شئت قلت قد وليت عملا فكنت أنت إياك، وقد جرّبتك فوجدتك أنت إياك، جعلت أنت صفة، وجعلت إياك بمنزلة الظريف، إذا قلت: فوجدتك أنت الظريف، والمعنى أنك أردت أن تقول: وجدتك كما كنت أعرف، وهذا كله قول "الخليل" -رحمه الله- سمعناه منه" (سيبويه، 1977)، ومثله تقول، قد جرّبتك فوجدتك أنت أنت، لقيتك ألفيتك أنت أنت، وقول "سيبويه": "وزعم الخليل: أنت الرجل علما ودينا وأنت الرجل فهما وأدبا، أي أنت الرجل في هذه الحال، وعمل فيه ما قبله وما بعده، ولم يحسن في هذا الوجه الألف واللام، كما لم يحسن فيما كان حالا، وكان في موضع فاعل حالا، وكذلك هذا فانتصب المصدر لأنه حال مصير فيه، ومن ذلك قولك، أما علما فلا علم له، وأما علما فلا علم عنده، وأما علما فلا علم وتضمر له، لأنك إنما تعني رجلا" (الحديثي، 1990م)، وهو في معنى: أما في مجال علم فعالم والتقدير: مهما يكن من شيء فهو عالم علما، فحمله الخليل على الحال، والعامل في الحال ما قبل المنصوب وما بعده أي مجموع ما قبله وما بعده فهو الكلام التام، معناه يجوز أن يقدر الناصب لقولنا: علما فعل الشرط المقدّر قبله، ويجوز أن يكون الناصب ما بعد الفاء وهو: فعالم.

يبدو اهتمام "الخليل بن أحمد" بالعلة واضحا من خلال ما ذكره "سيبويه" فلا يقف عند مسألة إلا وأورد بها توثيق القواعد النحوية للإبانة والتفسير مما له أهمية في إظهار حكمة العرب في لغتهم، وقد ظهر بوضوح وجلاء إبداعه في استنباط العلل وحيازة فضل السبق في هذا المنهج المستنبط من لغة العرب بغرض تفسيره وتوضيح ظواهره وتأكيد قوته وتأثيره، حتى قيل أنه هو الذي بلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو، وأنه أتى في علم النحو بما لم يأت بمثله أحد قبله في تصحيح القياس والتصريف.

3. الاستنتاج

إنّ التعليل الدّلالي في منهج التعليل النحوي عند الخليل قد أكّد بلوغ هذا العالم الذروة في تعليل مسائل النحو وهو في أول مراحل نمو العلّة، فلا يعرض مسألة إلا ويبرّرها ويعلّلها بكل ما أوتي من عبقرية حسية واضعا كلام العرب بين قواعد لا يخرج عنها، معتبرا في ذلك المعنى الذي قصده العرب في نظم كلامهم هو الأساس الأول للتعليل.

اعتمد في تعليلاته على التفسير الدلالي للكلمات والعبارات، أما المتأمل في المنهج التعليلي للخليل يجد أنّ التعليل الدّلالي قد أخذ حيّزا وافرا من تعليلات الخليل، والسبب هو أنّ هذا العالم قد أخذ الكلمة مفردة لفهم هيأتها وبنائها ثم دراستها في التركيب لفهم معناها وتنوع دلالتها حسب المعنى الذي أراده الذوق العربي، فربط بذلك التركيب بالمعنى، وكان المعنى منطلقا لدراسة التركيب والجملة والكلمة المفردة، فكان تعليله الدلالي مستمدا من المعنى الذي ينفر من القبيح ويميل إلى المستحسن والخفيف.

لقد كان تعليل الخليل تعليلا يتّصل بالمعنى مباشرة وطبيعة التركيب العربي معتمدا على التأويل أحيانا في رد بعض الكلمات التي أضلّها، ودراسة التراكيب وتحليلها حتى تندرج في نطاق نظام العربية.

بسط "الخليل" بحسه النادر مادته اللغوية في الكتاب الذي كان خير دليل على إرساء قواعد التعليل وأركانه، فكان أوّل من رسم منهج التعليل الدلالي وحدوده القائمة في عقول الأعراب وإن لم تنقل عنهم الذي يتميّز ببراعة الاستنباط والطريقة الفريدة في استنباط العلل وولعه بها، فوضع لكل كلام أو عبارة تفسيرا وتوضيحا يعلل ما جاءت عليه.

المراجع

1ـ إبراهيم، أنيس (1976). طرق تنمية الألفاظ في اللغة. القاهرة.

2 ـ ابن الأنباري (1976)، *نزهة الأنباء في طبقات الأدباء*. إبراهيم السامرائي(محرر). بغداد: مكتبة الأندلس

3-عبابنة، جعفر نايف(د.ت). *وضع الخليل بن أحمد لأصول النحو البصري وفروعه* (رسالة ماجستير، كلية الآداب)، جامعة القاهرة.

4ـ ابن جني (2008). *الخصائص*. محمد علي النجار(محرر). القاهرة: دار الكتاب العربي.

5-الجوهري (1973). *تاج اللغة وصحاح العربية* (ج 5)، عبد الغفور عطار(محرر). بيروت: دار العلم للملايين.

6.الحديثي، خديجة (1990). *المدارس النحوية*(ط.2). مطبعة جامعة بغداد.

7-الفراهيدي، الخليل بن أحمد(د.ت). *معجم العين* (ج 7).

8-الزبيدي (1306ه). *تاج العروس من جواهر القاموس*. مصر: المطبعة الخيرية.

9 ـ الزجاجي (1986). *الإيضاح في علل النحو*(ط.5). مازن المبارك(محرر). بيروت: دار النفائس.

10ـ زكي، حسام الدين (1984). *أصول تراثية في اللسانيات الحديثة* (ط. 03).

11-ابن السراج(د.ت). *الأصول في النحو* (ج 1).

12ـ سيبويه (1977). *الكتاب* (ط. 02). عبد السلام هارون(محرر). الهيئة العربية العامة للكتاب.

13ـ السيوطي (1987). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. مولى حاج الحق(محرر). بيروت: المكتبة العصرية.

14-ضيف، شوقي (د.ت). *المدارس النحوية*. مصر: دار المعارف.

15ـ المبارك، مازن (1965). *العلة النحوية، نشأتها وتطورها*. المكتبة الحديثة.

16-محمد الحلواني (1983). *أصول النحو العربي*. الرباط: الأطلسي.

17ـ حماسة، محمد عبد اللطيف (2015). *مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي* (ط 02). القاهرة: دار غريب للطباعة.

18-ابن منظور (1994). *لسان العرب*(ج11)، (ط03). بيروت: دار صادر.

19ـ عيد، محمد (2006). *أصول النحو العربي*. القاهرة: عالم الكتب.

20-منى إلياس (1985). *القياس في النحو*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

21ـ مهدي المخزومي (1986)، *الخليل بن أحمد أعماله ومنهجه*. بيروت: دار الرائد العربي.

22-ابن الوراق (2008). *علل النحو* (ط 02). محمود نصار(محرر). بيروت: دار الكتب العلمية.

References

1. Ibrahim, Anis (1976). *Turuq Tanmiyat al-Alfaz fi al-Lugha*. Cairo.
2. Ibn al-Anbari (1976). *Nuzhat al-Anba´ fi Tabaqat al-Adaba´*. Ibrahim al-Samarra'i (Ed.). Baghdad: Maktabat al-Andalus.
3. 'Ababneh, Ja'far Nayif (n.d.). *Wad' al-Khalil bin Ahmad li-Usul al-Nahw al-Basri wa-Furu'ih* (Master's thesis, Faculty of Arts), Cairo University.
4. Ibn Jinni (2008). *Al-Khasa'is*. Muhammad Ali al-Najjar (Ed.). Cairo: Dar al-Kitab al-'Arabi.
5. Al-Jawhari (1973). *Taj al-Lugha wa-Sihah al-'Arabiyya* (Vol. 5). 'Abd al-Ghaffur 'Attar (Ed.). Beirut: Dar al-'Ilm li-l-Malayin.
6. Al-Hadithi, Khadija (1990). *Al-Madaris al-Nahwiyya* (2nd ed.). Baghdad University Press.
7. Al-Farahidi, Khalil bin Ahmad (n.d.). *Mu'jam al-'Ayn* (Vol. 7).
8. Al-Zabidi (1306 AH). *Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus*. Egypt: Al-Matba'a al-Khayriyya.
9. Al-Zajjaji (1986). *Al-Idah fi 'Ilal al-Nahw* (5th ed.). Mazin al-Mubarak (Ed.). Beirut: Dar al-Nafa'is.
10. Zaki, Hossam al-Din (1984). *Usul Turathiyya fi al-Lisaniyyat al-Haditha* (3rd ed.).
11. Ibn al-Sarraj (n.d.). *Al-Usul fi al-Nahw* (Vol. 1).
12. Sibawayh (1977). *Al-Kitab* (2nd ed.). 'Abd al-Salam Harun (Ed.). The Arab General Authority for Books.
13. Al-Suyuti (1987). *Al-Muzhir fi 'Ulum al-Lugha wa-Anwa'iha*. Mawla Haj al-Haqq (Ed.). Beirut: Al-Maktaba al-'Asriyya.
14. Dayf, Shawqi (n.d.). *Al-Madaris al-Nahwiyya*. Egypt: Dar al-Ma'arif.
15. Al-Mubarak, Mazin (1965). *Al-'Ilal al-Nahwiyya: Nash'atuha wa-Tatawwuruha*. Al-Maktaba al-Haditha.
16. Muhammad al-Halawani (1983). *Usul al-Nahw al-'Arabi*. Rabat: Al-Atlasi.
17. Hamasa, Muhammad 'Abd al-Latif (2015). *Madkhal li-Dirasat al-Ma'na al-Nahwi al-Dalali* (2nd ed.). Cairo: Dar Gharib li-Tiba'a.
18. Ibn Manzur (1994). *Lisan al-'Arab* (Vol. 11), (3rd ed.). Beirut: Dar Sadir.
19. 'Eid, Muhammad (2006). *Usul al-Nahw al-'Arabi*. Cairo: 'Alam al-Kutub.
20. Mona Ilyas (1985). *Al-Qiyas fi al-Nahw*. Algeria: Diwan al-Matbu'at al-Jami'iyya.
21. Mahdi al-Makhzoumi (1986). *Al-Khalil bin Ahmad: A'maluhu wa-Manhajuhu*. Beirut: Dar al-Ra'id al-'Arabi.
22. Ibn al-Warraq (2008). *'Ilal al-Nahw* (2nd ed.). Mahmoud Nassar (Ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.